الإمام المجتبى ودوره في تأصيل العقيدة ودفع الشبهات

الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي

وصولاً لإبراز الدور التاريخي للإمام أبي محمد الحسن المجتبى عليه السلام في الدفاع والذود عن أصالة العقيدة الإسلامية، وللإلمام بمنهجه الذي سار عليه لترسيخ المبادئ الإسلامية السامية ودرء الشبهات عنها نستوحي ونستنطق كلام ذلك الإمام الهمام عليه السلام بهذا الصدد.

القرآن الكريم:

القرآن الكريم كتاب الإسلام ومبدأه الأساس، وله في تأصيله وترسيخه كلمات وأحاديث:

منها: ما في كشف الغمة عنه عليه السلام قال: «إن هذا القرآن فيه مصابيح النور وشفاء الصدور فيلجل جالٍ بضوئه وليلجم بصفته قلبه فإن التنكير حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور»[1].

(١) كشف الغمة ٢: ١٩٩، عن حلية الأولياء.

www.noormags.com

ومنها : ما في إرشاد القلوب عنه عليه السلام قال : «إن هذا القرآن يجيء يوم القيامة قائداً وسائقاً ، يقود قوماً إلى الجنة أحلّوا حلاله وحرّموا حرامه وآمنوا بمتشابهه ، ويسوق قوماً إلى النار ضيّعوا حدوده وأحكامه واستحلّوا محارمه »[1].

وحذّر من التفسير بالرأي حيث قال : «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ »[2].

وفي تفسير قوله سبحانه : ﴿ وما يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم ﴾ قال عليه السلام : « ما يعلم المخزون المكنون المكتوم الذي لم يطّلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل غير محمد وذريته »[3].

علي عليه السلام والقرآن :

وله في أبيه علي عليه السلام والقرآن ما في مناقب آل أبي طالب عنه عليه السلام قال : «كل ما في كتاب الله : ﴿ إن الأبرار ﴾ فو الله ما أراد به إلّا علي بن أبي طالب وفاطمة وأنا والحسين ؛ لأنّا نحن أبرار بآبائنا وأُمهاتنا ، وقلوبنا علت بالطاعات والبرّ وتبرأت من الدنيا وحبها ، وأطعنا الله في جميع فرائضه وآمنا بوحدانيته وصدقنا برسوله »[4].

وعنه عليه السلام قال : «إن الله تبارك وتعالى علّم رسوله الحلال والحرام والتنزيل والتأويل فعلم رسول الله علياً علمه كله »[5].

وعنه عليه السلام في ينابيع المودة خطب الناس على المنبر على عهد أبيه علي عليه السلام وبأمره

---

(١) إرشاد القلوب ١ : ٩٦.
(٢) إرشاد القلوب : ٩٦.
(٣) بلاغة الإمام الحسن عليه السلام : ١٦٨ ، عن مروج الذهب.
(٤) مناقب آل أبي طالب ٤ : ١.
(٥) بلاغة الإمام الحسن عليه السلام ، عن مروج الذهب.

www.noormags.com

فقال فيما قال : «أيها الناس سمعت جدي ﷺ يقول : أنا مدينة العلم وعلي بابها وهل تدخل المدينة إلّا من بابها»[١].

أهل البيت عليهم السلام :

والإسلام في مدرسة أهل البيت عليهم السلام يرتكز على المعرفة بإمامتهم وولايتهم ومودتهم، وللحسن عليه السلام في ذلك أخبار وأحاديث :

منها : أنه خطب فقال : «أنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم، فقال تعالى شأنه : ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً﴾ فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت»[٢].

وزاره سفيان بن أبي ليلى فسلّم عليه : السلام عليك يا مذل المؤمنين... ولكنه عليه السلام قال له : «يا سفيان ما جاء بك؟ فقال : حبكم والذي بعث محمداً بالهدىٰ ودين الحق. فقال له : أبشر يا سفيان فإني سمعت علياً عليه السلام يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن أهل بيتي ومن أحبهم من أُمتي يردون على الحوض كهاتين : السبابة والوسطى»[٣].

وقال عليه السلام في محبتهم : «والله لا يحبنا عبد أبداً ولو كان أسيراً في الديلم إلّا نفعه حبّنا، وإن حبّنا ليساقط الذنوب من بني آدم كما يساقط الريح الورق من الشجر»[٤].

وعنه عليه السلام في التعريف بهم قال : «فنحن الأولون ونحن الآخرون نغدو بروح الله ونروح بروحه، إلينا معدنه وفينا مسكنه، والآخر منا كالأول والأول منا كالآخر»[٥].

---

(١) بلاغة الإمام الحسن عليه السلام عن ينابيع المودة. (٢) المناقب ٤ : ٦، والآية ٢٣ من سورة الشورى.

(٣) بحار الأنوار ٤٤ : ٥٩، عن المعتزلي عن الإصفهاني.

(٤) بحار الأنوار ٤٤ : ٢٤، عن الكشي. (٥) كما في الاحتجاج ٢ : ١٠.

www.noormags.com

وفي النص على الأئمة الاثني عشر عن جده رسول الله : ما رواه علي بن محمد الخزّاز القمي في كتابه « كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر » قال عليه السلام : « إنه لعهد عهده إلينا رسول الله قال : إن هذا الأمر يملكه اثنا عشر إماماً من ولد علي وفاطمة عليهما السلام ما منا إلّا مسموم أو مقتول »[1].

ولئلا يشتبه الأمر في قوله في الحديث « يملكه اثنا عشر إماماً » أن يكون بمعنى تملك الأمر في الظاهر نجد تفسيره في قوله في خبر آخر عنه قال : « ما منا أحد إلّا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه ، إلّا القائم الذي يصلي خلفه روح الله عيسى بن مريم ، فإن الله عزّ وجل يخفي ولادته ويغيب شخصه ؛ لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج ، ذلك التاسع من ولد أخي الحسين ، ابن سيدة الإماء يطيل الله عمره في غيبته ثم يظهره بقدرته في صورة شاب ذي أربعين سنة ، ذلك ليعلم أن الله على كل شي قدير »[2].

وكان الناس ولا يزالون مختلفين فيهم عليهم السلام ، فلابدّ من أن يبيّن نظرتهم عليهم السلام في اختلاف الناس فيهم فقال عليه السلام : « إنما الناس ثلاثة :

مؤمن يعرف حقنا ويأتمّ بنا ويسلّم لنا فذلك محبّ وليّ الله ناجٍ.

ورجل يدين الله بالبراءة منا فيتبرّأ منا ويجحد حقنا وينصب العداوة لنا ويلعن ويستحل دماءنا فهذا فاسق كافر مشرك ، وإنما كفر وأشرك من حيث لا يعلم كما سبوا الله عدواً بغير علم ، كذلك يشرك بالله بغير علم.

ورجل لا يعرف حقنا فلا يأتم بنا ولكن لا يعادينا بل مع ولايتنا ، أخذ بما لا يختلف فيه ورد علم ما أشكل عليه إلى الله فنحن نرجو أن يغفر الله له ويدخله الجنة ، وهذا مسلم ضعيف »[3].

---

(١) كفاية الأثر : ٢٢٦.

(٢) كما في الاحتجاج ٢ : ١٠.

(٣) سليم بن قيس ٢ : ٨٣٤ ـ ٨٤٨ ، وتخريجه في ٣ : ٩٩٩.

www.noormags.com

وربما أراد إرشاد مثل هذا فقال لرجل : «إنك البارحة حدثت فلاناً بكذا وكذا. فعجب الرجل وقال لصاحبه : إنه ليعلم ما كان ؟! فقال عليه السلام : إن الله تبارك وتعالى علم رسول الله فعلّم رسول الله علياً علمه كله، وأميرالمؤمنين عليه السلام علمنيه كله »[1].

وكأن هذا وأمثاله من علومه من جده بلغ عدوه معاوية فكذّب به وقال : متى سمع من جده على صغر سنة ؟! فبلغ ذلك الإمام عليه السلام فقال له يوماً : « يا معاوية إنك لتكذب بي وتقول : متى سمع من جده على صغر سنه ؟! أما والله لولا أنك تكفر لأخبرتك بما تعمله : والله لتدعينّ زياداً ولتقتلن حجراً وليحملن إليك الرؤوس من بلد إلى بلد »[2].

صلحه عليه السلام :

ومن أهم الشبهات يومئذ حتى اليوم في إمامته صلحه مع عدوّه معاوية، وقد كثر الكلام في ذلك وتبعاً له كثر كلامه عليه السلام في إزاحة تلك الشكوك والشبهات.

ومن كلامه في ذلك من قبيل التحديث بعلمه عن جدّه قال لهم : «ألا إن أمر الله واقع إذ لا له رافع وإن كره الناس، وقد علمت ما ينفعني مما يضرني، وإني ما أحببت أن لي من أمر أُمة محمد مثقال حبة من خردل يهراق فيه محجمة من دم، فالحقوا ببطونكم، أي بطون عشائركم »[3].

ومن هذا القبيل قوله عليه السلام : «إنما هادنت حقناً للدماء وضنّاً بها وإشفاقاً على نفسي وأهلي والمخلصين من أصحابي »[4].

---

(١) بحار الأنوار ٤٤ : ١٠٤، عن مناقب آل أبي طالب : ٤.

(٢) بلاغة الإمام الحسن عليه السلام : ١٦٨، عن مروج الذهب : ٣.

(٣) رواه ابن عساكر في تاريخه ١٢ : ٥٣٦.

(٤) تنزيه الأنبياء : ١٧، نقلاً لمضمون كلماته عليه السلام بهذا الصدد، ونقله في المناقب ٤ : ٣٩.

www.noormags.com

ولعل من هولاء عدي بن حاتم الطائي زعيم بني طي في الكوفة، وكان من الشاكّين في ذلك فقال له :

« يا عدي، إني رأيت هوى معظم الناس في الصلح وكره الحرب فلم أُحب أن أحملهم على ما يكرهون، فرأيت دفع هذه الحرب إلى يوم ما فإن الله كل يوم هو في شأن »[1].

ومنهم مسيب بن نجبة الفزاري زعيم بني فزارة في الكوفة فقال له : « يا مسيّب، إني لو أردت بما فعلت الدنيا لم يكن معاوية بأصبر مني عند اللقاء ولا أثبت مني عند الحرب، ولكني أردت صلاحكم وكف بعضكم عن بعض حتى يستريح برّ أو يستراح من فاجر »[2].

وقال له عليه السلام : ولو أجمع الخلق جميعاً على أن لا يكون ما هو كائن ما استطاعوا. والحمد لله الغالب على أمره.

ومنهم من سلّم عليه بقوله : السلام عليك يا مذلّ المؤمنين، وهو بشير الهمداني، فقال له : « لست مذلاً للمؤمنين ولكني معزّهم، ما أردت بمصالحتي إلّا أن أدفع عنكم القتل عندما رأيت تباطؤ أصحابي ونكولهم عن القتال »[3].

ولعل منهم حجر بن عدي الكندي، فقال له : « يا حجر، ليس كل إنسان رأيه كرأيك ولا كلهم يحب ما تحبّ، وإني لم أفعل ما فعلت إلّا إبقاء عليكم، والله تعالى كل يوم هو في شأن »[4].

(١) الأخبار الطوال (للدينوري) : ٢٠٣.

(٢) كما في شرح المعتزلي ٤ : ٨، وتاريخ ابن عساكر ٢ : ٢٢٥.

(٣) الأخبار الطوال (للدينوري) : ٢٠٣.

(٤) كما في شرح المعتزلي ٤ : ٨، بل في مناقب آل أبي طالب ٤ : ٤١.

www.noormags.com

وكان من حديثه بعلمه عن جده ﷺ ما كان يخبر به أنه عليه السلام ليس هو وحده الذي يضطر ليبايع طاغية زمانه بل هذا ما يقع على كلهم أو جلّهم إلّا القائم منهم قال عليه السلام : «ما منا أحد إلّا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلّا القائم الذي يصلي خلفه روح الله عيسى بن مريم ... ذلك التاسع من ولد أخي الحسين، ابن سيدة الإماء»[1].

ومن كلامه في ذلك قوله عليه السلام : «كانت بيدي جماجم العرب، يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء وجه الله»[2].

ومنهم من سأله عليه السلام وأجابه بشيء من التفصيل لمعنى حقن الدماء حسب استعداده وإدراكه، مثل ما روى عن أبي سعيد عقيصا قال : قلت للحسن بن علي بن أبي طالب : يابن رسول الله لم داهنت معاوية وصالحته، فقد علمت أن الحق لك دونه وأن معاوية ضال باغ؟ فقال عليه السلام : «يا أبا سعيد، ألست حجة الله تعالى ذكره على خلقه وإماماً عليهم بعد أبي؟ قلت : بلى، قال : ألست الذي قال رسول الله لي ولأخي : الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا؟ قلت : بلى. قال : فأنا إذن إمام لو قمت وأنا إمام إذا قعدت. يا أبا سعيد، علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله لبني ضمرة وبني أشجع ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية، أُولئك كفار بالتنزيل ومعاوية وأصحابه كفار بالتأويل.

يا أبا سعيد، إذا كنت إماماً من قبل الله تعالى ذكره لم يجب أن يسفّه رأيي فيما أتيته من مهادنة أو محاربة، وإن كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبساً، ألا ترى الخضر لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى فعله لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى

(١) مر تخريجه من الاحتجاج ٢ : ١٠.

(٢) الذرية الطاهرة : ١٠٤ حديث ١٠٣، وعلل الشرائع ١ : ٢٥٨، عن رسالة الشيباني.

www.noormags.com

أخبره فرضي. هكذا أنا، سخطتم علي بجهلكم بوجه الحكمة فيه، ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا أحد على وجه الأرض إلّا قتل»[1].

وأكثر تفصيلاً منه ما روي عن زيد بن وهب الجهني قال: قلت له: «إن الناس متحيرون فماذا ترى؟ فقال عليه السلام: إن هؤلاء يزعمون أنهم لي شيعة، انتهبوا ثقلي وأخذوا مالي وابتغوا قتلي، والله لئن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي وآمن به في أهلي خير من أن يقتلوني فيضيع أهلي وأهل بيتي، والله لئن أُسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير أو يمن علي فيكون معاوية وعقبه يمنون بها على الحي منا والميت. قال زيد: فقلت له: يابن رسول الله فتترك شيعتك كالغنم لا راعي لهم؟!

فقال عليه السلام: وما أصنع يا أخا جهينة؟ إن أميرالمؤمنين عليه السلام رآني ذات يوم فرحاً فقال لي: يا حسن أتفرح؟ كيف بك إذا رأيت أباك قتيلاً، وكيف بك إذا ولي هذا الأمر بنو أُمية وأميرها الواسع الاعفجاج والرحب البلعوم الذي يأكل ولا يشبع... يستولي على شرقها وغربها وتدين له العباد ويطول ملكه، يستنّ بسنن البدع والضلال ويميت الحق وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، يقسم المال في أهل ولايته ويمنعه من هو أحق به، ويذل في ملكه المؤمن ويقوي في سلطانه الفاسق، يجعل المال بين أنصاره دولاً ويتخذ عباد الله خولاً، يدرس في سلطانه الحق ويظهر الباطل ويلعن الصالحين ويقتل من ناواه على الحق ويدين من والاه على الباطل»[2].

وزاره سفيان بن أبي ليلى وقال: السلام عليك يا مذل المؤمنين! فقال له عليه السلام: «يا سفيان، إني سمعت علياً عليه السلام يقول: سمعت رسول الله يقول: لا تذهب الأيام

(١) كما في علل الشرائع ١: ٢٥٨.
(٢) الاحتجاج ٢: ١٠.

www.noormags.com

والليالي حتى تجتمع أمر هذه الأُمة على رجل واسع السرم ضخم البلعوم يأكل ولا يشبع ... فأنا عرفته أنه معاوية وعرفت أن الله بالغ أمره ... وإنا أهل بيت إذا عرفنا الحق تمسكنا به. أبشر يا سفيان فإن الدنيا تسع البر والفاجر حتى يبعث الله إمام الحق من آل محمد ﷺ »[1].

ولكن ليس معنى أن الأُمة تجتمع عليه أنه على الحق، وقد تشبّث به معاوية يوماً إذ قال للإمام عليه السلام : يا حسن أنا خير منك! قال عليه السلام : «وكيف ذلك يابن هند؟! قال : لأن الناس قد اجتمعوا عليّ ولم يجتمعوا عليك! فقال له عليه السلام : يابن آكلة الأكباد، إن المجتمعين عليك رجلان : مطيع ومكره، فالطائع لك عاص لله، والمكره معذور بكتاب الله. ولكن لا أقول أنا خير منك إذ لا خير فيك، إن الله برّأني من الرذائل كما برّأك من الفضائل »[2].

ومن كلامه للرد على المشككين في صلحه بأنه عار عليه وعلى شيعته ما في تحف العقول عنه عليه السلام قال : «العار أهون من النار »[3].

ومن آخر هذه الأخبار في هذا المضمار ما روي عن سالم بن أبي الجُعد عن رجل من قومه دخل على الحسن بن علي عليه السلام وقد دسّ إليه الطاغية سمّاً وقع على كبده، فهو يخرج قطعاً مع ما يخرج من جوفه من الدم في طست بين يديه، دخل عليه قبيل ذلك وهو لا يعلم بحاله فقال له : « يابن رسول الله أذللت رقابنا وجعلتنا معشر الشيعة عبيداً ما بقي

(١) رجال الكشي : ١١١، الحديث ١٧٨، ومقاتل الطالبين : ٤٤، ط النجف الأشرف.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٤ : ٢٦، عن أخبار أبي حاتم.

(٣) تحف العقول : ١٦٨.

www.noormags.com

معك رجل. فقال الإمام: ممّ ذلك؟ قال: قلت: بتسليمك الأمر لهذا الطاغية. فقال عليه السلام: والله ما سلّمت الأمر إليه إلّا أني لم أجد أنصاراً، ولو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه، ولكني عرفت أهل الكوفة وبلوتهم، ولا يصلح لي منهم ما كان فاسداً، إنهم لا وفاء لهم ولا ذمة في قول ولا فعل، إنهم لمختلفون، إنهم ليقولون لنا: إن قلوبهم معنا وإن سيوفهم لمشهورة علينا»[1].

في مواجهة التحريفات:

ومن أهم مهام أئمة أهل البيت عليهم السلام قيام الإمام منهم بمهام الإمامة وقيادة الطليعة والنخبة من الأُمة في مواجهة التحريفات والانحرافات وما يعتبر من الانحطاط الفكري في الإسلام عقيدة أو شريعة، أمراً بالمعروف أو نهياً عن منكر عقيدي أو عملي.

ومن أوائل ذلك في حياة الإمام الحسن بن علي عليه السلام ما روي أنه دخل المسجد النبوي الشريف يوم الجمعة في أوائل عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فرآه على المنبر، ولعله قبل الخطبة فقال له: «انزل عن منبر أبي، وكان الحسنان يقولان لجدهما رسول الله: يا أبه. فلم يجد عمر بداً من ذلك دون أن قام فنزل من المنبر وهو يقول للحسن: صدقت يا بني منبر أبيك لا منبر أبي! وتوجه إليه فأخذ بيده وأخذه إلى المنبر فأجلسه إلى جنبه وخطب الناس والحسن جالس معه على المنبر»[2].

وفي عهد عثمان لما سيّر أباذر الغفاري غفر الله له إلى مهاجره في الجاهلية بلدة الربذة

---

(١) الاحتجاج ٢: ١١.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٤: ٤٥، عن ثلاثة مصادر، وأكثر تفصيلاً في علل الشرائع ١: ٢٢٢، عن الصادق عليه السلام.

www.noormags.com

ونهى الناس عن توديعه، هذا، وأميرالمؤمنين علي عليه السلام يرى ذلك خلاف الشرع وأنّ عليه أن ينكر ذلك، فخرج ومعه خواص أصحابه لتوديع أبي ذر رضي الله عنه ومعه الحسنان، وكلّ منهم خاطبه بكلام ينكر فيه ذلك على عثمان ويسلّيه ويصبّره عليه، فقال له الحسن عليه السلام: «يا عمّاه... إن القوم قد أتوا إليك ما قد ترى وإن الله بالمنظر الأعلى، فدع عنك ذكر الدنيا بذكر فراقها، ودع عنك شدة ما يرد عليك لرجاء ما بعدها، واصبر حتى تلقى نبيك صلى الله عليه وآله وهو عنك راضٍ إن شاء الله تعالى»[1].

وبعد صلحه مع معاوية لما خالف بنود الصلح وثلب أميرالمؤمنين عليه السلام في خطبته، قام إليه وقال له: «يابن آكلة الأكباد، أوَ أنت تسبّ أميرالمؤمنين، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيه: من سبّ علياً فقد سبّني ومن سبني فقد سبّ الله ومن سبّ الله أدخله الله نار جهنم خالداً فيها وله عذاب مقيم؟!»[2].

وروى منه الجاحظ[3] أنه عليه السلام دخل على معاوية وعنده عمرو بن العاص فقال: «قد جاءكم كذا وكذا وسبّه. فلما أخذ الحسن مجلسه قال لمعاوية: «يا معاوية لا يزال عندك عبد يرتع في لحوم الناس! أما والله لئن شئت ليكونن بيننا ما تتفاقم فيه الأُمور وتتحرج منه الصدور ثم أنشأ يقول:

أتأمر يا معاوي عبد سهم ... بشتمي والملا منا شهود
إذا أخذَتْ مجالسها قريش ... فقد علمت قريش ما تريد

(١) كما في روضة الكافي: ١٧٥، ط النجف الأشرف، وتاريخ اليعقوبي ٢: ١٢٠، ط النجف، والمعتزلي عن الجوهري.
(٢) كما في الاحتجاج ١: ٤٢٠، ط النجف الأشرف.
(٣) في المحاسن والأضداد: ٧٣.

www.noormags.com

أأنت تظل تشتمني سفاهاً؟ لضغن مـا يـزول ولا يـبيد
فهل لك من أب كأبي تسامى به من قد تسـامى أو تكـيد
ولا جد كجدي يابن حرب رسول الله إن ذكـر الجـدود
ولا أُم كأُمـــي مـن قـريش إذا مـا بـيّن الحسب التـليد
فما مثلي يُهكَّم يابن حرب ولا مـــثلي يـنهنهه الوعـيد
فـمهلاً لا تـهج مـنا أُمـوراً يشيب لهولها الطفل الوليد»

ومن البدع التي ابتدعتها مدرسة الخلفاء لما أوصدت وسدت باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله أن عمدت إلى القُصَّاص فأذنت وسمحت وفسحت لهم المجال في المساجد والجوامع حتى في المسجدين الشريفين أن يقصوا على الناس ما يهوون كبديل كاذب عن الحديث الإسلامي الأصيل، ولا ريب أنّ الإمام الحسن عليه السلام يرى ذلك منكراً من القول وزوراً، فروى اليعقوبي أنّه عليه السلام: «مرّ يوماً وقاص يقص على باب مسجد رسول الله فأنكر عليه وقال له: ما أنت؟ فقال: يابن رسول الله أنا قاص. فقال عليه السلام كذبت، بل القاص محمد صلى الله عليه وآله إذ قال له الله: ﴿فاقصص القصص﴾ فقال: فأنا مذكّر. قال: كذبت بل المذكر محمد صلى الله عليه وآله إذ قال له الله: ﴿فذكر إنما أنت مذكر﴾ فقال الرجل: إذن فما أنا؟ قال: إنما أنت من المتكلفين»[1].

وبإزاء ذلك ذكر الشؤون الإسلامية للمساجد في حديث عنه في تحف العقول قال عليه السلام: «من أدام الاختلاف إلى المساجد صاحب إحدى ثمان: آية محكمة أو علماً مستطرفاً أو كلمة تدله على الهدى أو تردّه عن ردى أو أخاً مستعاداً أو رحمة منتظرة أو

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٣٦.

www.noormags.com

ترك الذنوب خشية أو حياء »[1]!

ولم تكن مدرسة الخلفاء تعنى بدفع أو رفع آثار الجاهلية ومصطلحاتها بآثار الإسلام ومصطلحاته وتحياته فمن ذلك : أن كان العرب في الجاهلية يجهلون أو يتجاهلون ما للمرأة من مكانة على صعيد الإنسانية بل يكادون يرونها حيواناً خلقت لخدمة الذكور، وأن القيمة كل القيمة للولد الذكر، فإذا ولد هنؤوا أباه يتفألون بفروسيته لأبيه ويقولون له : ليهنئك الفارس ! فلم تكن مدرسة الخلفاء تغير عليهم مثل ذلك إن لم تكن تساعد عليه، حتى أن بعضهم من قريش بلغهم أن الحسن عليه السلام قد ولد له مولود فدخلوا عليه وقالوا له : يهنئك الفارس. فقال لهم عليه السلام : « ما هذا من كلام ؟! بل قولوا : شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب، وبلغ الله به أشده ورزقك برّه »[2].

ومن أنكر منكرات مدرسة الخلفاء خلافهم على رسول الله صلى الله عليه وآله أمره وحثه وتشويقه وترغيبه في طلب العلم والفقه والحديث وبثه ونشره وتعليمه وكتابته، فمنعوا من ذلك وشدّدوا فيه وضيّقوا على أهله أشد تضييق، بل لم يكتفوا بذلك حتى افتروا عليه أحاديث في النهي عن كتابة حديثه وتدوينه، والحسن عليه السلام يرى ذلك أيضاً منكراً من القول وزوراً، فروى الحرّ العاملي في الفصول المهمة في أُصول الأئمة عنه عليه السلام كان يقول لبنيه : « تعلموا العلم فإنكم صغار القوم اليوم وكبارهم غداً، ومن لم يحفظ منكم فليكتب »[3].

(١) تحف العقول : ١٦٩، ط بيروت بتحقيق الغفاري.

(٢) كما في تحف العقول : ١٦٩، ١٧٠، ط بيروت.

(٣) الفصول المهمة : ٤٢، بل في تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٢٧، ط بيروت.

www.noormags.com

ومن المبادئ الدينية الإسلامية السامية صيام شهر رمضان المبارك للتبرك ببركاته، ولم يشرع عيد الفطر للهو واللعب، ومرّ هو عليه السلام فيه بقوم يلعبون ويضحكون فوقف عليهم وقال لهم: «إنّ الله تعالى جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته، فسبق أقوام ففازوا وتخلف أقوام فخابوا. فالعجب كل العجب من الضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه المسارعون وخاب فيه المبطلون، أما والله لو كشف الغطاء لعلموا أن المحسن مشغول بإحسانه والمسيء مشغول بإساءته»(١).

وفي نهاية تطوافنا في المجتبى من أحايث المجتبى عليه السلام في تأصيل العقيدة الإسلامية وترسيخ مبادئه السامية ومواجهته للشبهات والانحطاط الفكري نقف وإياكم على حديث عنه عليه السلام رواه المرحوم المحدث المجلسي في كتابه «جلاء العيون» الذي ترجمه إلى العربية المرحوم السيد عبدالله شبّر، كما ذكر ذلك في مقدمته للكتاب، حديث يفيد ترسيخ العقيدة بإمامته أو ولايته لله وارتباطه به وعلاقته على مستوى سرعة استجابة دعائه، قال:

«استغاث الناس إلى الحسن عليه السلام من كثرة مظالم زياد بن عبيد الثقفي وشدتها وبطشه وقسوته فرفع يديه ودعا وقال: اللهم خذ لنا ولشيعتنا من زياد بن أبيه وأرنا فيه نكالاً عاجلاً إنك على كل شي قدير، فخرج خراج في إبهام يده اليمنى وتورّم حتى عنقه فمات منها»(٢).

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) تحف العقول: ١٧٠، ط بيروت.

(٢) كما في مناقب آل أبي طالب ٤: ١٠.

www.noormags.com